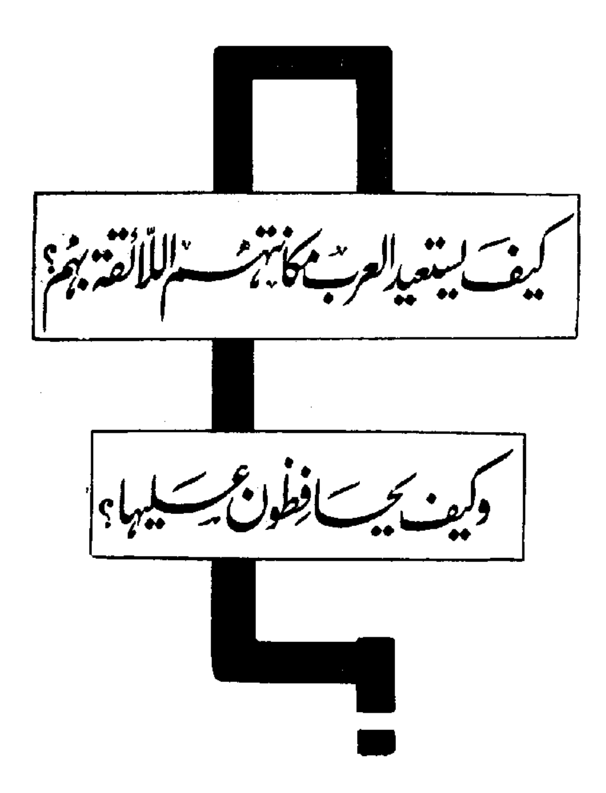
أبو الحسن علي الحسني الندوي



الناشر :
دار عرفات للتربية ، و النشر و التوزيع
دارة الشيخ علم الله، رائى بريلى (الهند)

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

اهتم بالطبع
عتيق الرحمن الطيبي

المطبعة الندوية
مؤسسة الصحافة و النشر
ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)



كلمة عن الكتاب

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده !

و بعد ! فقد كان العالم العربى - بما فيه إمارات الخليج و المملكة العربية السعودية مع ما تشتمل عليه و تقوم بمسئوليته من الحرمين الشريفين - يسود عليه الهدوء وكانت الأمور تجرى بجراها الطبيعى ، إذا بالعالم يهتز فى ١٠/ من المحرم ١٤١١ﻫ (٢/ من أغسطس ١٩٩٠م) بحادثة مروعة لم تنكس رؤس الدعاة إلى العدل و الاحترام الانسانى فحسب ، بل نكست رأس الملة الإسلامية بكاملها، وغضت بصرها ، و تندى لها جبينها حياءاً و خجلا ، و هى حادثة

الغزو العراقى المفاجئ للكويت ، التى أذاعتها محطات العالم و وسائل الاعلام العالمية كصاعقـة ، و حسب لهـا العالم الاسلامى حساباً لم يحسبه لحادث منذ زمن طويل بطبيعة الحال .

دعت رابطة العالم الاسلامى فى مكة المعظمة مؤتمراً إسلامياً عاماً ، للبحث فى هذا الموضوع فى ٢١ - ٢٢ - ٢٣ من صفر ١٤١١ه (١٠ - ١١ - ١٢ من سبتمبر ١٩٩٠م) فى مقر الرابطة فى مكة المكرمة ، حضره و مثل فيه عدد من علماء المسلمين وقادة الفكر ، ورؤساء الجمعيات والحركات الاسلامية ، و الشخصيات الاسلامية المرموقة ، لم يشهد فى مؤتمرات إسلامية قريبة ، و أبدوا مشاعرهم و عواطفهم و علقوا عـلى الحادث فى حرية و انطلاق ، و لم يجدوا مبرراً دينياً ، و لا خلقياً و مبدئياً لهذا العمل ، و اتفقوا على أن هذا الغزو يتنافى مع الضمير الانسانى و مبادئ الأخلاق العامة — فضلا عن التعاليم الاسلامية — ويعتبر إجراءاً مذموماً و مرادفاً للقرصنة .

شارك فى المؤتمر كاتب هذه السطور و عرض مقالا عنوانه « المأساة الأخيرة فى العالم العربى ، دراستها من الناحية الدينية و الخلقية و المبدئيـــة و الدعوية و تحليل أسبابها و إنعكاساتها » كان موضع العناية و الإهتمام من المستمعين الكرام ، و أذاعته محطات الإذاعة السعودية ، و نشرته الصحف و المجلات .

و قد اكتفى الكاتب فى هذا المقال باستعراض هذا الغزو الاجرامى ، و نقده من الناحية الدينية و الخلقيـة و الإنسانية ، ولم يتعرض — لقصر الوقت و تأثير الجو المكهرب الحزين الخانق — للإشارة إلى مواضع الضعف فى المجتمع العربى الإسلامى ، من ناحية وجود الوعى السياسى و الإستعداد الحربى ، وقوة مقاومة هذه الهجمات الشائنة المهينة ، بل منعها و استحالة وقوعها ، لأن ذلك يحتاج إلى جو هادئ ، وفكر متفتح ، و فرصة مواتية ، و حانت له التفاتة ، و هو فى مكة المكرمة ، إلى كتابه القديم المشهور « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » الذى نال من

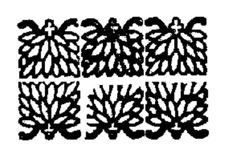
الانتشار و القبول فى الأوساط الاسلامية و العربية ما لم ينله كتاب آخر للمؤلف ، و ظهرت له نحو عشرين طبعة — قانونية و غير قانونية — و تصفح فصله الأخير الذى عنوانه « زعامة العالم العربى » فوجد أن ماكتبه وجرى على قلمه بتوفيق الله تعالى قبل أربعين سنة، ينطبق تماماً على هذا العصر و يتجاوب مع أحداثه ، و يسترعى انتباه المعنيين بقضية العالم العربى و مصيره و مستقبله ، و أنه لا يحتاج إلى تغيير أو تطوير .

و شرح الله صدر كاتب هذه السطور لأن ينشره من جديد بعنوان : « كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم و يحافظون عليها ؟ » و إلى القراء والقادة و الموجهين فى العالم العربى ، و رجال الدعوة والتربية و المعنيين بقضية الأقطار العربية الإسلامية ، و الذين يتمنون أن لا تكون منطقة — مهما صغر حجمها — فريسة سهلة أو لقمة سائغة، لغزو مفاجئ ، أو هجوم طارق ، من الداخل أو الخارج ، أو تعيش منطقة فى حذر و خطر من غير أن

تعد له عدته، هذا الفصل من الكتاب، الذى يحبق - رغم تقدمه الزمنى - فى أوانه ومكانه، و على الله قصد السبيل و هو الموفق و المعين .

أبو الحسن على الحسنى الندوى
ندوة العلماء - لكهنؤ (الهند)

٩/ ربيع الاول ١٤١١هـ
٢٩/ سبتمبر ١٩٩٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم و كيف يحافظون عليها ؟

أهمية العالم العربي :

إن العالم العربي له أهمية كبيرة فى خريطة العالم السياسيـــة ، و ذلك لأنه وطن أمم لعبت أكبر دور فى التاريخ الإنسانى ، و لأنه يحتضن منابع الثروة و القوة الكبرى : الذهب الأسود الذى هو دم الجسم الصنـــاعى و الحربى اليوم ، ولأنه صلة بين أوربا و أمريكا ، وبين الشرق الأقصى ، و لأن قلب العالم الاسلامى النابض يتجه إليه روحياً و دينياً و يدين بحبه و ولائه ، و لأنه عسى لا قدر الله ـــ أن يكون ميدان الحرب الثالثة ، و لأن

فيه الأيدى العاملة ، والعقول المفكرة ، و الأجسام المقاتلة ، و الاسواق التجارية ، و الأراضى الزراعية ، و لأن فيه مصر ذات النيل السعيد بنتاجها ومحصولها و خصبها وثروتها و رقيها و مدنيتها ، و فيه سورية و فلسطين و جاراتها ، باعتدال مناخها وجمال إقليمها وأهميتها الاستراتيجية ، وبلاد الرافدين بشكيمة أهلها و منابع البترول فيهـــا ، و الجزيرة العربية بمركزها الروحى و سلطانها الدينى ، و اجتماع الحج السنوى الذى لا مثيل له فى العالم ، وآبار البترول الغزيرة ، كل ذلك قد جعل العـــالم العربى محط أنظار الغربيين ، و ملتقى مطامعهم و ميـــدان تنافس لقيادتهم ، و كان رد فعله أن نشأ فى العالم العربى شعور عميق بالقومية العربية ، و كثر التغنى « بالوطن العربى » و « المجد العربى » :

محمد رسول الله روح العالم العربى :

و لـكن المسلم ينظر إلى العالم العربى بغير العين التى ينظر بها الاوربى ، وبغير العين التى ينظر بها الوطنى العربى ، إنه ينظر إليه كمهد الاسلام ومشرق نوره ومعقل الانسانية

و موضع القيادة العالمية ، و يعتقد أن سيدنا محمداً العربى هو روح العالم العربى و أساسه و عنوان مجـــده ، و أن العالم العربى — بما فيه من موارد الثروة و القوة و بما فيه من خيرات و حسنات — جسم بلا روح ، و خط بلا وضوح إذا انفصل - لا سمح الله بذلك - عن سيدنا رسول الله ﷺ و قطع صلته عن تعاليمه و دينه ، و أن سيدنا رسول الله ﷺ هو الذى أبرز العالم العربى للوجود ، فقد كان هذا العالم وحدات مفككة ، و قبائل متنـــاحرة ، و شعوباً مستعبدة ، و مواهب ضائعة ، و بلاداً تتسكع فى الجهل و الضلالات ، فكان العرب لا يحلمون بمناجزة الدولة الرومية و الفارسية و لا يخطر ذلك منهم على بال ، و لا يصدقون بذلك إذا قيل لهم فى حال من الأحوال ، و كانت سورية التى تكون جزءاً مهماً من العـــالم العربى مستعمرة رومية تعانى الملكية المطلقة و الحكم الجائر المستبد لا تعرف معنى الحرية و العدل ، و كان العراق مطيـــة لشهوات الدولة الكيانية مثقلة بالضرائب المجحفة والاتاوات

الفادحة ، و كانت مصر قد اتخذها الرومان ناقـــة حلوباً ركوباً ، يجزون صوفها و يظلمونها فى علفها ، ثم إنها تعانى الاضطهاد الدينى مع الاستبداد السياسى، فما لبث هذا العالم المفكك المنحل ، المظلوم المضطهد ، أن هبت عليه نفحة من نفحات الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ ، أدرك رسول الله هـــذا العالم و هو ضائع هالك و أخذ بيده و هو ساقط متهالك ، فأحياه بإذن الله و جعل له نوراً يمشى به فى الناس ، و علمه الكتاب و الحكمة و زكاه ، فكان هذا العالم بعد البعثة المحمدية سفير الاسلام ، و رسول الأمن والسلام ، ورائد العلم والحكمة ، ومشعل الثقافة والحضارة، كان غوثاً للأمم ، غيثاً للعالم ، هنالك كانت الشام و كان العراق ، و كانت مصر ، و كان العالم العربى الذى نتحدث عنه ، فلولا محمد ﷺ ، و لو لا رسالته ، و لو لا ملته ، لما كانت سورية ، و لا كان العراق ، و لا كانت مصر ، و لا كان العالم العربى ، بل و لا كانت الدنيا كما هى الآن حضارة و عقلا ، و ديانة و خلقاً ، فمن استغنى عن دين

الإسلام من شعوب العالم العربى وحكوماته ، و ولى وجهه شطر الغرب أو أيام العرب الاولى ، أو استلهم قوانين حياته أو سياسته من شرائع الغرب و دساتيره ، أو أسس حياته على العنصرية أو العروبة التى لا شأن لها بالإسلام ، و لم يرض برسول الله قائداً و رائداً و إماماً و قدوة ، فليرد على محمد بن عبد الله ﷺ نعمته ويرجع إلى جاهليته الاولى ، حيث الحكم الرومانى و الايرانى ، و حيث الاستعباد و الاستبداد ، و حيث الظلم و الاضطهاد ، و حيث الجهل و الضلالة ، و حيث الغفلة و البطالة ، و حيث العزلة عن العالم ، و الخمول و الجمود ، فان هذا التاريخ المجيد ، و هذه الحضارة الزاهية ، و هذا الأدب الزاخر ، و هذه الدول العربية ، ليست إلا حسنة من حسنات محمد عليه الصلاة و السلام .

الايمان هو قوة العالم العربى :

فالاسلام هو قومية العالم العربى ، و محمد ﷺ هو روح العالم العربى و إمامه و قائده ، والايمان هو قوة العالم

العربى التى حارب بها العالم البشرى كله فانتصر عليه ، و هو قوته و سلاحه اليوم كما كان بالأمس ، به يقهر أعداءه ، و يحفظ كيانه ويؤدى رسالته ، إن العالم العربى لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية أو عدواً آخر بالمال الذى ترضخه بريطانيا أو تتصدق به أمريكا أو روسيا ، أو تعطيه مقابل ما تأخذ من أرضه من الذهب الأسود ، إنما يحارب عدوه بالايمان و القوة المعنوية ، و بالروح التى حارب بها الدولة الرومية و الامبراطورية الفارسيـــة فى ساعة واحدة فانتصر عليهما جميعاً ، إنه لا يستطيع أن يحارب أعداءه بقلب يحب الحياة و يكره الموت ، و بجسم يميل إلى الدعة و الراحة ، و عقل يخامره الشك و تتنازع فيـــه الأفكار والأهواء ، أو بيد مضطربة وقلب متشكك ضعيف الايمان و قوة متخاذلة فى الميدان ، فالمهم لأمراء العرب وزعمائهم و قادة الجامعة العربية ، أن يغرسوا الايمـــان فى الشعوب العربية ، و جماهير الأمة و أولياء الأمور ، و الجيوش العربية و الفلاحين و التجار ، و فى كل طبقة من طبقات

الجمهور ، و يشعلوا فيها شعلة الجهاد فى سبيل الله ، والتوق إلى الجنة، ويبعثوا فيها الاستهانة بالمظاهر الجوفاء وزخارف الدنيا ، و يعلموهم كيف يتغلبون عـــلى شهوات النفس و مألوفات الحياة ، و كيف يتحملون الشدائد فى سبيل الله و كيف يستقبلون الموت بثغر باسم ، و كيف يتهافتون عليه تهافت الفراش على النور .

تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية :

بعث رسول الله ﷺ و قد بلغت شقاوة الإنسانية غاية ما وراءها غاية ، و كانت قضية الانسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متنعمون لا يتعرضون لخطر ولا لخسارة ولا محنة ، لهم النعيم الحاضر و الغد المضمون ، إنما تحتاج هـذه القضية إلى أناس يضحون بإمكانياتهم و مستقبلهم فى سبيل خدمة الانسانية وأداء رسالتهم المقدسة ، و يعرضون نفوسهم و أموالهم و معائشهم وحظوظهم من الدنيا للخطر و الضياع ، و تجـــاراتهم و حرفهم و مكاسبهم للتلف و الـكساد ، و يخيبون آمال آبائهم و أصدقائهم فيهم ،

حتى يقولوا للواحـــد منهم كما قال قوم صالح : « قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا » (١) .

إنه لا بقاء للإنسانية و لا قيام لدعوة كريمة بغير هؤلاء المجاهدين ، و بشقاء هذه الحفنة من البشر فى الدنيا — كما يعتقد كثير من معاصريهم — تنعم الانسانية وتسعد الامم ، ويتحول تيار العالم ، من الشر إلى الخير ، ومن السعادة أن يشقى أفراد و تنعم أمم ، و تضيع أموال و تكسد تجارات لبعض الأفراد ، وتنجو نفوس و أرواح لا يحصيها إلا الله من عذاب الله و من نار جهنم .

علم الله عند بعثة الرسول ﷺ أن الروم و الفرس والأمم المتحضرة المتصرفة بزمام العالم المتمدن ، لا تستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة أن تتعرض للخطر و تتحمل المتاعب و المصاعب فى سبيل الدعوة و الجهاد و خدمة الانسانية البائسة ، ولا تستطيع أن تضحى بشيء من دقائق مدنيتها و تأنقاتها فى الملبس و المأكل ، و أن تتنزل عن

---

(١) سورة هود : الآية ٦٢ .

حظوظها و لذاتها و زخارفها فضلا عن حاجاتها ، و أنه لا يوجد فيها أفراد يقوون على قهر شهواتهم ، و الحد من طموحهم و الزهد فى فضول الحياة و مطامع الدنيا ، والقناعة بالكفاف ، فاختار لرسالة الإسلام وصحبة الرسول عليه الصلاة و السلام أمة تضطلع بأعباء الدعوة و الجهاد و تقوى على التضحية و الايثار ، تلك هى الأمة العربية القوية السليمة التى لم تبتلعها المدنية و لم ينخرها البذخ و الترف ، وأولئك أصحاب محمد ﷺ أبر الناس قلوباً و أعمقهم علماً و أقلهم تكلفاً .

قام الرسول بهذه الدعوة العظيمة فأدى حقوقها : من الجهاد فى سبيلها و إيثارها على كل ما يقف فى وجهها و العزوف عن الشهوات و مطامع الدنيا ، فكان فى ذلك أسوة و إماماً للعالم كله ، كلمه وفد قريش و عرض عليه كل ما يغرى الشباب ويرضى الطامحين ، من رئاسة وشرف و مال عظيم و زواج كريم ، فرفض كل ذلك فى صرامة و صراحة ، و كلمه عمه و حاول أن يحد من نشاطه فى

سبيل الدعوة فقال : « يا عم و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » ثم كان أسوة للناس فى عصره و بعد عصره بقيامه بأكبر قسط من الجهاد و الايثار ، و الزهد و شظف العيش و أقل قسط من العيش و أسباب الحياة ، فقد أوصد على نفسه الابواب و سد فى وجهه الطرق و تعدى ذلك إلى أسرته و أهل بيته و المتصلين به ، فكان أكثر الناس اتصالا به وأقربهم إليه ، أقلهم حظاً فى الحياة ، و أعظمهم نصيباً فى الجهاد و الايثار ، فاذا أراد أن يحرم شيئاً بدأ ذلك بعشيرته و بيته ، و إذا سن حقاً أو فتح باباً لمنفعة قدم الآخرين و ربما حرمه على عشيرته الاقربين ، أراد أن يحرم الربا فبدأ بربا عمه عباس بن عبد المطلب فوضعه كله ، و أراد أن يهدر دماء الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب فأبطله ، و سن الزكاة و هى منفعة مالية عظيمة مستمرة إلى يوم القيامة فحرمها على عشيرته بنى هاشم

إلى آخر الآبد ، و كلمه على بن أبى طالب يوم الفتح أن يجمع لبنى هاشم الحجابة مع السقاية فأبى ، و طلب عثمان ابن طلحة و ناوله مفتاح الكعبة و قال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر و وفاء ، و قال خذوها خالدة تالدة فيكم لا ينزعها منكم إلا ظالم ، و حمل أزواجه على الزهد و القناعة و شظف العيش و خيرهن بين عشرته مع الفقر و ضيق العيش ، و مفارقته مع السعة و الرخاء و تلا عليهن قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين أمتعكن و أسرحكن سراحاً جميلا ، و إن كنتن تردن الله ورسوله و الدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً » (١) فاخترن الله و الرسول ، و تأتيه فاطمة تشكو إليه ما تلق فى يدها من الرحى و بلغها أنه جاءه رقيق ، فيوصيها بالتسبيح و التحميد والتكبير و يقول لها إنه خير لها من خادم . . و هكذا كان شأنه مع أهل بيته و المتصلين به فالأقرب ثم الأقرب .

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ .

و آمن به رجال من قريش فى مكة فاضطربت حياتهم الاقتصادية اضطراباً عظيماً ، و كسدت تجاراتهم و حرم بعضهم رأس ماله الذى جمعه فى حياته ، و حرم بعضهم أسباب الترف و الرخاء و أناقة اللباس التى كان فيها مضرب المثل ، و كسدت تجارة بعضهم لاشتغاله بالدعوة وانصراف الزبائن عنه و حرم بعضهم نصيبه فى ثروة أبيه .

ثم لما هاجر الرسول إلى المدينة وتبعه الأنصار تأثرت بذلك بساتينهم ومزارعهم فلما أرادوا أن يقبلوا عليها بعض الوقت و يصلحوها ، لم يسمح لهم بذلك وأنذرهم الله به فقال : « و أنفقوا فى سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » (٢) .

و هكذا كان شأن العرب و الذين احتضنوا هذه الدعوة منهم فقد كان نصيبهم من متاعب الجهاد و خسائر النفوس و الأموال أعظم من نصيب أى أمة فى العالم و قد خاطبهم الله بقوله : « قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم

---

(٢) سورة البقرة : ١٩٥ .

و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب إليكم من الله و رسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره و الله لا يهدى القوم الفاسقين » (١) و قال : « ما كان لأهل المدينة و من حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » (٢) لأن سعادة البشرية إنما كانت تتوقف على ما يقدمونه من تضحية وإيثار وما يتحملونه من خسائر و نكبات فقال : « و لنبلونكم بشئ من الخوف، و الجوع و نقص من الأموال والأنفس و الثمرات » (٣) و قال : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون ؟ » (٤) و كان إحجام العرب عن هذه المكرمة و ترددهم فى ذلك امتداداً لشقاء

(١) سورة التوبة : ٢٤ .

(٢) سورة التوبة : ١٢٠ .

(٣) سورة البقرة : ١٥٥ .

(٤) سورة العنكبوت : ٢ .

الانسانية واستمراراً للأوضاع السيئة فى العالم فقال : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير » (١) .

و قد وقف العالم فى القرن السادس المسيحى على مفترق الطرق إما أن يتقدم العرب و يعرضوا نفوسهم و أموالهم وأولادهم و كل ما يعز عليهم، للخطر و يزهدوا فى مطامع الدنيا و يضحوا فى سبيل المصلحة الاجتماعية بأنانيتهم فيسعد العالم و تستقيم البشرية و تقوم سوق الجنة و تروج بضاعة الايمان ، و إما أن يؤثروا شهواتهم و مطامعهم وحظوظهم الفردية على سعادة البشرية وصلاح العالم فيبقى العالم فى حمأ الضلالة و الشقاء إلى ما شاء الله ، و قد أراد الله بالانسانية خيراً و تشجع العرب — بما نفخ فيهم محمد ﷺ من روح الايمان و الايثار و حبب إليهم الدار الآخرة و ثوابها — فقدموا أنفسهم فداء للانسانية كلها و زهدوا فى مطامع الدنيا طمعاً فى ثواب الله و سعادة النوع الانسانى و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله

---

(١) سورة الأنفال : ٧٣ .

وضحوا بكل ما يحرص عليه الناس من مطامع و شهوات و آمال و أحلام و أخلصوا لله العمل و الجهاد فآتاهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة و الله يحب المحسنين.

وقد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الرسول، ووقف العالم على مفترق الطرق مرة ثانيـــة، إما أن يتقدم العرب — و هم أمة الرسول و عشيرته — إلى الميدان و يغامروا بنفوسهم و إمكانياتهم و مطامحهم و يخاطروا بما هم فيه من رخاء و ثراء و دنيا واسعـــة . و فرص متاحـــة للعيش وأسباب ميسورة، فينهض العالم من عثاره وتتبدل الارض غير الارض ، و إما أن يستمروا فيما هم فيـــه من طمع و طموح ، و تنافس فى الوظائف و المرتبات و تفكر فى كثرة الدخل و الايراد و زيادة غلة الأملاك و ربح التجارات و الحصول عـــلى أسباب الترف و التنعم، فيبقى العالم فى هذا المستنقع الذى يتردى فيه منذ قرون .

إن العالم لا يسعد و خيرة الشباب فى العواصـــم العربية عاكفون على شهواتهم تدور حياتهم حول المـادة

و المعدة لا يفكرون فى غيرهما و لا يترفعون عن الجهاد فى سبيلهما، ولقد كان شباب بعض الامم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم فى سبيل المبادئ التى اعتنقوها ، أكبر منهم نفساً ، وأوسع منهم فكراً ، بل كان الشاعر الجاهلى «امرؤ القيس» أعلى منهم همة ، إذ قال :

و لو أننى أسعى لأدنى معيشة
كفانى و لم أطلب قليل من المال
و لكنما أسعى لمجد مؤثل
و قد يدرك المجد المؤثل أمثالى

إن العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلا على قنطرة من جهاد و متاعب يقدمها الشباب المسلم ، إن الارض لفى حاجة إلى سماد ، و سماد أرض البشرية الذى تصلح به و تنبت زرع الاسلام الكريم هى الشهوات و المطامع الفردية التى يضحى بها الشباب العربى فى سبيل علو الاسلام و بسط الأمن و السلام على العالم و انتقال الناس من الطريق المؤدية إلى جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة .

إنه لثمن قليل جداً لسلعة غالية جداً .

العناية بالفروسية و الحياة العسكرية :

من الحقائق المؤلمة أن الشعوب العربية قد فقدت كثيراً من خصائصها العسكرية ، و رزئت فى فروسيتها التى كانت معروفة بها فى العالم ، فكانت رزيئة كبيرة و خسارة فادحة ، و كانت سبباً من أسباب ضعفها وعجزها فى ميدان الجهاد ، فقد اضمحلت الروح العسكرية ، وضعفت الاجسام و نشأ الناس على التنعم ، وقد حلت السيارات محل الجياد حتى كادت الخيل العربية تنقرض من الجزيرة العربيـــة ، و هجر الناس المصارعة و المناضلة و سباق الخيل و أنواع الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية ، و استبدلوا بها ألعاباً لا تفيدهم شيئاً ، فالمهم لرجال التعليم والتربية وقادة الشعوب العربية أن يربوا الشبيبة العربية عـــلى الفروسية و الحيـــاة العسكرية ، و على البساطـــة فى المعيشة و خشونة العيش و الجلادة و تحمل المشاق و المتاعب ، و الصبر عـــلى المكروه ! .

وقد كتب المربى الكبير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى بعض عماله العرب وهم فى بلاد العجم : « إياكم والتنعم وزى العجم ، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب ، وتمعددوا (١) ، واخشوشنوا (٢) ، واخشوشبوا (٣) واخلولقوا (٤) ، وأعطوا الركب أسنتها وانزوا نزواً ، وارموا الأغراض » (٥) .

وقد قال النبي ﷺ : « ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً » (٦) وقال : « ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى » (٧) .

---

(١) تمعدد الغلام : شب وغلظ ، وقيل معناه : تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكان ذا غلظ وتقشف .

(٢) اخشوشن : تخشن فى المطعم والملبس .

(٣) اخشوشب : صار صلباً كالخشب فى أحواله وصبره على الجهد .

(٤) تبذلوا فى الملابس .

(٥) رواه البغوى عن أبى عثمان النهدى .

(٦) رواه البخارى .

(٧) رواه مسلم .

و من واجب رجال التربية و ولاة الأمر أن يحاربوا بكل قوتهم ما يضعف روح الرجولة و الجلادة و يبعث علـــى التخنث و العجز ، من عادات و أدب وصحافة وتعليم ، و يأخذوا على يد الصحافة الماجنة والأدب الخليع الملحد ، الذى ينشر فى الشباب النفاق و الدعارة و الفسوق ، و عبـادة اللذة و الشهوات ، و لا يسمحوا لهؤلاء التجار الذين يحبون أن تشيع الفاحشـــة فى الذين آمنوا أن يدخلوا فى معسكر محمـد ﷺ الذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، و يفسدوا على الناشئة الاسلامية قلبها و أخلاقها ، و يزينوا لهـــا الفسوق و العصيان ، وحب الفحشاء ، بثمن بخس دراهم معدودة ، و قد شهد التاريخ بأن كل أمة أصيب رجالها فى رجولتهم و غيرتهم ، و نساؤها فى أنوثتهن و أمومتهن ، وطغى فيهن التبرج ، ومزاحمة الرجال فى كل شىء ، و الزهد فى الحياة المنزلية ، وحب إليهن العقم ، أفل نجمها وكسفت شمسها ، فأصبحت أثراً بعد عين .

هذه كانت عاقبة اليونان و الرومان و الفرس ، و إن أوربا لفي طريقها إلى هذه العاقبة ، فليحذر العالم العربي من هذا المصير الهائل .

محاربة التبذير والفرق الهائل بين الغنى والصعلوك :

و قد اعتاد العرب لأسباب كثيرة و بتأثير الحضارة الغربية ، حياة الترف و الدعة و الاعتداد الزائد بالكماليات و فضول الحياة و الإسراف و التبذير و الاستهانة بمال الله في سبيل اللذة و الشهوة و الفخر و الزينة .

إيجاد الوعي في الأمة :

إن أخوف ما يخاف على أمة و يعرضها لكل خطر و يجعلها فريسة للنافقين و لعبة العابثين ، هو فقدان الوعي في هذه الأمة ، واقتتانها بكل دعوة واندفاعها إلى كل موجة و خضوعها لكل متسلط و سكوتها على كل فظيعة وتحملها لكل ضيم ، و أن لا تعقل الأمور ولا تضعها في مواضعها و لا تميز بين الصديق و العدو و بين الناصح و الغاش و أن تلدغ بجحر مرة بعد مرة و لا تنصحها الحوادث ،

ولا تروعها التجارب ، ولا تنتفع بالكوارث ، و لا تزال تولى قيادها من جربت عليه الغش و الخديعة و الخيانة و الأثرة و الأنانية والجبن والعجز ، و الخرق و الطيش ، و كان سبباً للهزيمة و الذلة ، و لا تزال تضع ثقتها فيه وتمكنه من نفسها و أموالها و أعراضها و مفاتيح ملكها ، و تنسى سريعاً ما لاقت على يده من الخسائر و النكبات فيجترىء بذلك السياسيون المحترفون ، و القادة الخائنون و يأمنون سخط الأمة و محاسبتها و يتمادون فى غيهم و يسترسلون فى خياناتهم و عبثهم ، ثقة ببلاهة الأمة و سذاجة الشعب و فقدان الوعى .

إن الشعوب الاسلامية و البلاد العربية — مع الأسف — ضعيفة الوعى — إذا تحرجنا أن نقول : فاقدة الوعى — فهى لا تعرف صديقها من عدوها و لا تزال تعاملهما معاملة سواء أو تعامل العدو أحسن مما تعامل الصديق الناصح ، وقد يكون الصديق فى تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو ، و لا تزال تلدغ بجحر واحد

ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث و التجارب ، وهى ضعيفة الذاكرة سريعـــة النسيان تنسى ماضى الزعماء و القادة ، و تنسى الحوادث القريبة و البعيدة ، وهى ضعيفة فى الوعى الدينى و الوعى الاجتماعى و أضعف فى الوعى السياسى ، و ذلك ماجر عليها ويلا عظيماً وشقاء كبيراً و سلط عليها القيادة الزائفة و فضحها فى كل معركة .

إن الأمم الأوروبيـــة ــ برغم إفلاسها فى الروح و الأخلاق و برغم عيوبهـــا الكثيرة ــ قوية الوعى ــ الوعى المدنى و السياسى ــ و قـــد بلغت سن الرشد فى السياسة ، و أصبحت تعرف نفعها من ضررها ، وتميز بين الناصح والخادع ، وبين المخلص والمنافق ، و بين الكفؤ و العاجز ، فلا تولى قيادهـــا إلا الأكفاء الأقوياء الأمناء ، ثم لا توليهم أمورها إلا على حذر ، فاذا رأت منهم عجزاً أو خيانة أو رأت أنهم مثلوا دورهم وانتهوا من أمرهم ، استغنت عنهم و أبدلت بهم رجالا أقوى منهم و أعظم كفاءة و أجدر بالموقف ، و لم يمنعها من إقالتهم

أو إقصائهم من الحــكم ماضيهم الرائع و أعمالهم الجليلة و انتصارهم فى حرب ، أو نجاحهم فى قضية ، و بذلك أمنت السياسيين المحترفين ، و القيادة الضعيفة أو الخائنة ، و خوف ذلك الزعماء ، و رجال الحكم و كانوا حذرين ساهرين يخافون رقابة الأمة و عقابها وبطش الرأى العام .

فمن أعظم ما تخدم به هذه الأمة وتؤمن من المهازل والمآسى التى لا تكاد تنتهى ، هو إيجاد الوعى فى طبقاتهــا و دهمائها و تربية الجماهير التربية العقلية والمدنية و السياسية ، ولا يخفى أن الوعى غير فشو التعليم و زوال الأمية و إن كانت هذه الأخيرة من أنجح وسائلها ، و ليعرف الزعماء السياسيون والقادة أن الأمة التى يعوزها الوعى غير جديرة بالثقة ولا تبعث حالتها على الارتياح و إن أطرت الزعامة و الزعماء و قدستهم ، فانها — ما دامت ضعيفة الوعى — عرضة لكل دعاية و تهريج و سخرية كريشة فى فلاة تلعب بها الرياح ولا تستقر فى مكان .

استقلال البلاد العربية فى تجارتها و ماليتها :

و كذلك لابد للعالم العربى — كالعالم الإسلامى — من الاستقلال فى تجارته و ماليته و صناعته و تعليمه ، لا تلبس شعوبه و جماهيره إلا ما تنبته أرضه و تنسجه يده ، و تستغنى عن الغرب فى جميع شئون حياتها ، و فى كل ما تحتاج إليه ، من كسوة ، و طعام ، وبضائع ، و مصنوعات ، و أسلحة و جهاز حربى ، و آلات وماكينات ، و أدوية ، فلا تكون كلا على الغرب وعيالا عليه فى معيشتها و متطفلة على مائدته .

إن العالم العربى لا يستطيع أن يحارب الغرب — إذا احتاج إلى ذلك و دعت إليه الظروف — و هو مدين له فى ماله ، عيال عليه فى لباسه و بضائعه ، لا يجد قلماً يوقع به على ميثاق مع الغرب إلا القلم الذى صنع فى الغرب ، و لا يجد ما يقاتل به الغرب ، إلا الرصاص الذى أفرغ فى الغرب ، إن عاراً على الأمة العربية أن تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها و قوتها ، و أن يجرى ماء

الحياة فى عروقها وشرايينها إلى أجسام غيرها ، وأن يدرب جيوشها و كلاء الغرب و ضباطه ، و يدير بعض مصالح حكومتها رجاله ، فلابد للعالم العربى أن يقوم هو نفسه بحاجاته : تنظيم التجارة و المالية ، و حركة التوريد و التصدير ، و الصناعة الوطنية ، وتدريب الجيش ، وصنع الآلات و الماكينات و تربية الرجال الذين يضطلعون بجميع مهمات الدولة و وظائف الحكومة فى خبرة ومهارة فنية ، و أمانة و نصيحة .

رجاء العالم الاسلامى فى العالم العربى :

و العالم العربى بمواهبه و خصائصه و حسن موقعه الجغرافى و أهميته السياسية ، يحسن الاضطلاع برسالة الاسلام ، و يستطيع أن يتقلد زعامة العالم الاسلامى ، ويزاحم أوربا بعد الاستعداد الكامل ، وينتصر عليها بايمانه وقوة رسالته ونصر من الله ، و يحول العالم من الشر إلى الخير ، و من النار و الدمار إلى الهدوء و السلام .

إلى قمة القيادة العالمية :

ما أعظم التطور الذى حدث فى تاريخ العرب على إثر بعثة محمد ﷺ ونادت به سورة الإسراء وقصة المعراج فى لغة صريحة بليغة وفى أسلوب مبين مشرق (١) ، و ما أعظم النعمة التى أسبغها الله على العرب ، نقلهم من جزيرتهم التى يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح الذى يقودونه بناصيته ، و من الحياة القبلية المحدودة التى ضاقوا بها ، إلى الانسانية الواسعة التى يشرفون عليها و يوجهونها ، وأصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذى فاجأ العرب و فاجأ العالم ، يقولون بكل و ضوح و شجاعة لامبراطور المملكة الفارسية العظيمة و أركان دولته : « الله ابتعثنا ليخرج نا من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام »

(١) تضم سورة الاسرا. قصة المعراج إعلانات بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو نبي القبلتين و إمام المشرقين و المغربين و وارث الأنبيا قبله و إمام الأجيال بعده .

نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا أولا إلى سعتها ثم أخرجوا الامم من ضيق الدنيا إلى سعتها آخراً ، و هل أضيق من الحياة القبلية و الجنسية ، و أوسع من الحياة الانسانية الواسعة الآفاق ؟ وهل أضيق من الحياة التى لا يفكر فيها إلا فى المادة الزائلة و الحياة الفانية ولا يجاهد إلا فى سبيلها ، من الحياة الايمانية الروحانية التى لا نهاية لها و لا تحديد ؟! .

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب ، و من ضيق الحياة فيها ، و من ضيق التفكير فى مسائلها و مصالحها ، و من ضيق التناحر على سيادتها ، و من ضيق التكالب على حطامها القليل و ملكها الضئيل و عيشها الذليل ، إلى عالم جديد من السيادة الروحية والخلقية والعلمية والسياسية، ليس الدانوب الفائض و النيل السعيد و الفرات العذب و السند الطويل ، إلا سواقى حقيرة و ترعاً صغيرة فيــه ، و ليست جبال الألب و البرانس و عقاب لبنان وقمــم هماليا ، إلا تلالا متواضعة و سدوداً صغيرة ، و ليست

البلاد الواسعة كالهند و الصين وتركستان، إلا أحياء ضيقة و حارات صغيرة ، ونقطاً مغمورة فى هذا العالم ، وليست هذه الأرض كلها — إذا نظر إليها من ارتقى إلى قمة هذه السيادة — إلا خريطة صغيرة ملونة يراها الطائر المحلق فى السماء ، و ليست الأمم الكبيرة — مع ثقافتها و حضاراتها و آدابها — إلا أسراً صغيرة فى أمة كبيرة .

لقد قام العالم الكبير على أساس العقيدة الواحدة ، و الايمان العميق و الصلة الروحية القوية ، و كان أوسع عالم عرفه التاريخ ، و كانت الشعوب التى تكون هذا العالم، أقوى أسرة عرفها التاريخ ، تنصهر فيها الثقافات المختلفة ، و العبقريات المتنوعة ، فتكون منها ثقافة واحدة هى الثقافة الاسلامية ، التى لم تزل تظهر فى نوابغ الاسلام الذين لا يحصيهم عدد ، و فى المآثر الاسلامية — بين علمية و عملية — التى لا يستقصيها التاريخ .

لقد كانت — ولا تزال — قيادة هذا العالم بجدارة و استحقاق، أشرف قيادة و أعظمها و أقواهـا فى تاريخ

الزعامة و القيادة ، و قد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا لهذه الدعوة الاسلامية و تفانوا فى سبيلها ، فأحبهم الناس فى العالم حباً لم يعرف له نظير ، و قلدوهم فى كل شىء تقليـــداً لم يعرف له نظير ، و خضعت للغتهم اللغات ، و لثقافتهم الثقافات ، ولحضارتهم الحضارات ، فكانت لغتهم هى لغـــة العلم و التأليف فى العالم المتمدن من أقصاه إلى أقصاه ، و هى اللغة المقدسة الحبيبة التى يؤثرها الناس على لغاتهم التى نشأوا عليها ، و يؤلفون فيها أعظم مؤلفـاتهم و أحب مؤلفاتهم ، و يتقنونها كأبنائها و أحسن ، و ينبغ فيها أدباء و مؤلفون يخضع لهم المثقفون فى العالم العربى ، ويقر بفضلهم و إمامتهم أدباء العرب و نقادهم .

و كانت حضارتهم هى الحضارة المثلى التى يتمجـد الناس و يتظرفون بتقليدها ، و يحث علماء الدين عـــلى تفضيلها على الحضارات الاخرى و يطلقون على كل ما يخالفها من الحضارات — « اسم الجاهلية » و « العجمية » و ينهون عن اتخاذ شعائرها و مظاهرها .

و بقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مـــدة طويلة والناس لا يفكرون فى ثورة عليها ، و فى التخلص منها كما هى عادة المفتوحين و الأمم المغلوبة على أمرها فى كل عهد ، لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح أو المحكوم بالحاكم أو الرقيق بالسيد القاهر ، إنما هى صلة المتدين بالمتدين ، وصلة المؤمن بالمؤمن ، و على الأكثر إنما هى صـــلة التابع بالمتبوع الذى سبقه بمعرفة الحق و الايمان بالدعوة و التفانى فى سبيلها ، فلا محل للثورة . و لا محل للتذمر ، و لا محل لنكران الجميل ، إنما اللائق أن يعترفوا لهم بالفضل ، وتلهج ألسنتهم بالشكر و الدعاء ، و أن يقولوا : « ربنـــا اغفرلنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنـا إنك رؤوف رحيم » (١) .

و هكذا كان ، فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبر العرب المنقذ من الجاهليه و الوثنية ، و الداعى إلى

---

(١) . سورة الحشر : ١٠ .

دار السلام ، و القائد إلى الجنة ، و المعـلم و الأستاذ فى الأدب .

هذه هى القيادة العالمية التى هيأتها البعثة المحمدية ، و أعلنتها سورة الإسراء ، و هى القيادة التى يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص، و يعضوا عليها بالنواجذ ، و يسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب و يتواصى بهـا الآباء و الأبناء ، و لا يجوز لهم — فى شريعـة العقل والدين و الغيرة — أن يتخلوا عنها فى زمن من الأزمان ، ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة ، و ليس فى غيرها عوض عنها وكفاية ، وهى القيادة التى تشمل جميع أنواع القيادة و السيادة ، و هى تسيطر على القلوب و الأرواح ، أكثر من سيطرتها على الأجسام و الأشباح .

إن الطريق إلى هذه القيادة ممهدة ميسورة للعرب ، و هى الطريق التى جربوها فى عهدهم الأول « الاخلاص للدعوة الإسلامية و احتضانها و تبنيها و التفانى فى سبيلها وتفضيل منهج الحياة الاسلامى على جميع مناهج الحياة » .

و بذلك — من غير قصد و إرادة لنيل هذه القيادة و تبوئها — تخضع لهم الأمم الاسلامية فى أنحاء العالم ، و تتهالك عـلى حبهم و إجلالهم و تقليدهم ، و بذلك تنفتح لهم أبواب جديدة و ميادين جديدة فى مشـارق الأرض ومغاربها، الميادين التى استعصت على غزاة الغرب و مستعمريه و ثارت عليـه ، و تدخل أمم جديدة فى الاسلام ، أمم فتية فى مواهبها و قواها و ذخائرها ، أمم تستطيع أن تعارض أوربا فى مدنيتها و علومهـا إذا وجدت إيماناً جديداً ، و ديناً جديداً ، و روحاً جديدة و رسالة جديدة .



الفهرس